

## الضغط الحديثي في المختصر النصيح للمهلب بن أبي صفرة تأصيل نظري وتطبيق منهجي

### *Hadith Compression in Al-Mukhtasar al-Nasih by al-Qadi al-Muhallab ibn Abi Saфра: Theoretical Foundation and Methodological Application*

مراد براهمي ، أ.د. نصر سلمان

مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية - كلية أصول الدين - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة  
**mbrahim79@gmail.com.**

مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية - كلية أصول الدين - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة  
**sotehisouad@yahoo.fr**

تاريخ القبول: 2025/12/01

تاريخ الإستلام: 2025/11/01

#### ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن منهج القاضي المهلب بن أبي صفرة في كتابه المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، بوصفه أنموذجاً مبكراً لممارسة منهجية يمكن الاصطلاح عليها بـ«الضغط الحديثي». وتتمثل مشكلة الدراسة في غياب تسمية منهجية دقيقة تصف هذا النمط من الجمع بين الاختصار والحفاظ على البنية الأصلية للنص الحديثي. اعتمدت الدراسة منهج التحليل النصي المقارن بين صحيح البخاري والمختصر النصيح، من خلال نموذجين تطبيقيين أبرزتا قدرة المهلب على جمع الروايات المتفرقة وإعادة بنائها في نص موحد يحافظ على الأسانيد والدلالات. وتوصل البحث إلى أن عمل المهلب لا يقتصر على التهذيب اللفظي، بل يمثل بناءً معرفياً ومنهجياً متكاملًا، يجمع بين الدقة الحديثية والوظيفة التعليمية، ويؤسس لاتجاه علمي أصيل في التعامل مع النصوص الحديثية.

**الكلمات المفتاحية:** الضغط الحديثي؛ المهلب بن أبي صفرة؛ المختصر النصيح؛ صحيح البخاري؛ الاختصار الحديثي.

#### Abstract:

This study explores the methodology of al-Qadi al-Muhallab ibn Abi Safrage in his work al-Mukhtasar al-Nasih fi Tahdhib al-Kitab al-Jami al-Sahih, as an early example of what can be termed Hadith Compression. The research problem lies in the lack of a precise methodological term describing this unique process that combines summarization with the preservation of the original hadith structure. Using comparative textual analysis between Sahih al-Bukhari and al-Mukhtasar al-Nasih, the study examines two applied models showing how al-Muhallab integrated dispersed narrations into cohesive texts while maintaining chains of transmission and meanings. The study concludes that al-Muhallab's work represents not merely linguistic abridgment but a comprehensive methodological reconstruction that unites scholarly precision with pedagogical clarity, establishing an authentic and systematic approach to hadith synthesis.

**Keywords:** Hadith Compression; al-Muhallab ibn Abi Safrage; al-Mukhtasar al-Nasih; Sahih al-Bukhari; Hadith Summarization

## أولاً: تأصيل مصطلح «الضغط الحديثي»

يُعدُّ ضبط المفاهيم وتحديد المصطلحات من أهم ما يُستعمل به البحث العلمي، ولا سيما حين يكون المصطلح المقترح مصطلحاً جديداً يراد له أن يتبوأ موقعاً منهجياً في حقل الدراسات الحديثية. ولما كان كل مصطلح مبتكر لا بد أن يُبنى على أصوله اللغوية من جهة، وعلى خلفياته الاصطلاحية والمفهومية من جهة أخرى، كان لزاماً الوقوف على مدلول «الضغط الحديثي» من جهات ثلاث: اللغوية والحوسبية والاصطلاحية.

## 1. الجذر اللغوي للمصطلح

ذكر ابن فارس أن مادة (ض غ ط) تدل على «مُزاحمةً بشدة» إذ يقول: «الضاد والغين والطاء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدل على مزاحمة بشدة، يقال: ضَغَطَهُ إذا زحمه إلى حائط»<sup>1</sup>. وقال الخليل بن أحمد: «الضَغَطُ: عصر شيء إلى شيء، أي ضم شيء إلى شيء ضماً محكماً بشدة ورضه إليه»<sup>2</sup>، ومن شواهد الاستعمال ما ذكره الخطابي في تفسيره للكلمة «رَضَّهُ»، حيث قال: «أي ضَغَطَهُ وضمَّ بعضه إلى بعض»<sup>3</sup>. وهذا الضم والرض ينتج عادة شدة ومشقة، جاء في الصحاح: «ضَغَطَهُ يَضْغَطُهُ ضَغْطاً: زَحَمَهُ إلى حائطٍ ونحوه ومنه ضَغَطَةُ القبر. والضَغْطَةُ بالضم: الشدَّةُ والمشقَّةُ. يقال: اللهم ارفع عنا هذه الضغطة»<sup>4</sup>. وعليه، فإنَّ الأصل اللغوي لمادة (ضغط) يدور على الضم والإلصاق والمزاحمة مع الشدة والإحكام. وهذا المعنى الأصلي يلائم تصوير عملٍ علميٍّ يقصد إلى جمع النص الحديثي ورضه وتقريبه دون تفكيكه أو تضبييع معالمة، وهو ما نرومه من مصطلح «الضغط الحديثي»، إذ يُصوِّر عملاً علمياً يقصد إلى تكثيف النص الحديثي وجمع عناصره في صورة محكمة متقاربة، مع المحافظة على جوهره وبنيته، دون تفكيك أو تضبييع لمقاصده.

## 2. المفهوم الحوسبي لضغط الملفات

يحمل مصطلح «الضغط» في بيئة الحوسبة الحديثة معنىً خاصاً يتعلق بالبيانات والملفات الإلكترونية، ويُعرف بـ «ضغط البيانات»<sup>5</sup>. ويُقصد به: تقليص حجم البيانات لتسهيل تخزينها أو نقلها أو معالجتها، مع الحفاظ على إمكانية استعادتها لاحقاً إلى صورتها الأصلية، وهو ما يُعرف بالضغط بلا فقد (Lossless)، بخلاف الضغط بفقد (Lossy) الذي يُستعمل في بعض الملفات الصوتية والمرئية. ومن أشهر برامج الضغط: WinRAR، WinZip، gzip وغيرها<sup>6</sup>. وانطلاقاً من هذا المفهوم الحوسبي الذي يقوم أساساً على الضمّ والمزاحمة مع بقاء إمكانية استعادة الأصل، أمكن الاستفادة منه في تصوير عملٍ علميٍّ متميّز أنجزه القاضي المهلب بن أبي صفرة في كتابه المختصر النصيح في تهذيب الجامع الصحيح؛ إذ ضغط مادة «صحيح البخاري» وضَمَّها في صورةٍ أوضح وأقرب، دون أن يُسقط أسانيداً أو يُغيّب مقاصدها. ومن هنا وُلد مصطلح «الضغط الحديثي» تمييزاً لهذا الصنيع وإبرازاً له، ودعوةً إلى تأمل آلياته ومخرجاته ومقاصده، وكيفية الاستفادة منه في مصنّفات أخرى.

1 - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة (364/3 - 365)

2 - الخليل بن أحمد، العين (363/4).

3 - أبو سليمان الخطابي: غريب الحديث (634/1).

4 - إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1140/3)

5 - وقد عرّفه ديفيد سالومون في كتابه المرجعي Data Compression: The Complete Reference بقوله:

"Data compression: is the art and science of reducing the amount of data needed to represent information"

وترجمته: ضغط البيانات: هو فن وعلم تقليل حجم البيانات اللازمة لتمثيل المعلومات.

6 - انظر: Data Compression, Wikipedia, آخر تعديل: 16 أغسطس 2025، تاريخ الاطلاع: 19 أغسطس 2025. متاح على:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Data\\_compression](https://en.wikipedia.org/wiki/Data_compression)

## 3. المفهوم الاصطلاحي المقترح لـ«الضغط الحديثي»

بعد الوقوف على الأصل اللغوي لمادة (ضغط) وما يفيد من معنى الضمّ والإحكام والمزاحمة، ثم استحضار المفهوم الحوسبي لضغط البيانات بما يتضمنه من تقليص الحجم مع المحافظة على جوهر المحتوى وإمكان استعادته، يمكن صياغة مصطلح «الضغط الحديثي» اصطلاحاً بما يلائم طبيعة خدمة النصوص الحديثة.

فالضغط الحديثي: منهج علمي مقترح في التعامل مع النصوص الحديثة، يقصد إلى تكثيف المادة الحديثة<sup>7</sup> بجمع عناصرها وركزها في صورة محكمة متقاربة، مع المحافظة على أساسياتها ومتونها وتراجمها قدر المستطاع، بما يقرب النص للقارئ ويُيسر الاستفادة منه دون أن يُخل بمقاصده أو يُفكك بنيته الأصلية.

ويمتاز هذا المنهج عن الاختصار التقليدي بكونه لا يُسقط الأسانيد جملةً ولا يُهمل التراجم، بل يسعى إلى الإبقاء على أكبر قدر ممكن من البنية العلمية للكتاب مع معالجة التكرار وتيسير الاستعمال. وهو بهذا يشكّل منزلة وسطى بين الاختصار والأصل، غير أنه يتجاوزهما من حيث وظيفته المنهجية في إعادة عرض النص، وغايته التعليمية التي ترمي إلى تقريب الأصل الحديثي وتيسير التعامل معه.

ومن هنا يُعدّ عمل القاضي المهلب بن أبي صفرة في المختصر النصيخ أنموذجاً رائداً لهذا المنهج، مما يمنح هذا المصطلح مشروعية تطبيقية، ويجعله إضافة ذات قيمة في ميدان دراسات مناهج المحدثين، مع إمكان تعميمه على تجارب مشابهة في اختصار النصوص الحديثة الأخرى. وعليه، فإن «الضغط الحديثي» ليس مجرد توصيف لعمل جزئي، بل هو تصور منهجي يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة لفهم جهود المحدثين وتجديد النظر في طرائقهم.

## ثانياً: التعريف بالقاضي المهلب وكتابه المختصر النصيخ

## 1. التعريف بالقاضي المهلب بن أبي صفرة الأندلسي

يُعدّ القاضي المهلب بن أحمد بن أبي صفرة بن أسيد، أبو القاسم الأسديّ التميمي الأندلسي الميرّي (ت 435هـ)<sup>8</sup>، من أبرز أعلام الأندلس في القرن الخامس الهجري، ومن كبار من اشتغل بصحيح الإمام البخاري روايةً وشرحاً واختصاراً. وقد وصفه العلماء بالفصاحة والذكاء وسعة العلم، وكان أحد الأئمة المتفنين في الفقه والحديث واللغة، وتولّى القضاء في مالقة أو المرية.

وتوفي المهلب يوم الاثنين، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال وقت الظهر، ودُفن يوم الثلاثاء بعد العصر سنة خمس وثلاثين وأربع مئة (435هـ).<sup>9</sup>

## 1.1 طلبه للعلم ورحلاته

نشأ المهلب في بيئة علمية، وصحب الإمام الأصيلي، وكان صهره ومن كبار أصحابه، كما سمع عن عدد من شيوخ الأندلس؛ كأبي زكريا الأشعري وعبد الوارث بن خيرون. ثم ارتحل إلى القيروان ومنها إلى المشرق، فأخذ عن جماعة من الأئمة؛ منهم: أبو الحسن القاسبي، وأبو ذر الهروي، وأبو الحسن علي بن محمد بن دار القزويني، وغيرهم. وقد تفرغ المهلب للعلم وخدمة صحيح البخاري خاصة، فتوافد عليه الطلبة من الأنحاء فكان من أبرز تلاميذه: القاضي ابن المرباط، وأبو عمر ابن الحذاء، وأبو العباس الدلائي، وحاتم الطرابلسي.

<sup>7</sup> - ويعتبر نهج المحدثين بجمع طرق الحديث وشواهده من هذا الباب، إذ حرص النقاد منهم على ذلك حتى قال علي بن المديني: «الباب إذا لم تجمع طرقه لم يبين خطؤه». الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (212/2).

<sup>8</sup> - ويطلقه في الاسم القائد البطل: المهلب بن أبي صفرة ظالم الأزدي البصري أبو سعيد التابعي المشهور بحروبه مع الخوارج (ت 82). الذهبي: سير أعلام النبلاء (383/4).

<sup>9</sup> - خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم (269-268/2).

## 2.1 ثناء العلماء عليه

قال أبو عمر ابن الحذاء: "كان أذهن من لقيت، وأفهمهم وأفصحهم."<sup>10</sup>  
 وقال ابن بشكوال في الصلة: "من أهل العلم والمعرفة والذكاء والفهم، من أهل التفنن في العلوم والعناية الكاملة بها."<sup>11</sup>  
 ووصفه القاضي عياض بأنه: "من أهل العلم الراسخين، المتفنيين في الفقه والحديث، والعبارة والنظر."<sup>12</sup>  
 وفخم أمره لسان الدين بن الخطيب فقال: "كان من أدهى الناس وأفصحهم، ومن أهل التّعين والعناية التامة،"<sup>13</sup>  
 فهو كما قال الذهبي: "من أهل الذكاء المفرط، والاعتناء التام بالعلوم"<sup>14</sup>

## 3.1 اختصاصه بصحيح البخاري

مما امتاز به المهلب اعتناؤه الكبير بالجامع الصحيح للإمام البخاري، حتى قال أبو الأصبغ القاضي: "كان أبو القاسم وأبو محمد من كبار أصحاب الأصيلي، وبأبي القاسم حي كتاب البخاري بالأندلس، لأنه قرئ عليه تفقهاً أيام حياته، وشرحه واختصره."<sup>15</sup>  
 وقال ابن بشكوال مبيناً شهرته بشرح الجامع الصحيح: "وله كتاب في شرح البخاري أخذه الناس عنه"<sup>16</sup>  
 ويعد المهلب المؤسس الأظهر لمدرسة الإمام البخاري في الأندلس، ويتبين ذلك مما يلي:  
 - روايته للصحيح: فقد تلقى صحيح البخاري عن الأصيلي والقابسي<sup>17</sup>، ثم رحل إلى مكة فأخذه عن أبي ذر الهروي، فصار حلقة وصل مهمة في روايته<sup>18</sup>.  
 - نقله لشروح الصحيح: اعتنى بشروح أساتذته، مثل شرح القابسي وأخيه أبي عبد الله محمد بن أبي صفرة، فنقل عنهما وأفاد منهما<sup>19</sup>.  
 - سؤاله لأهل العلم عن مشكلات الصحيح: ومما حفظ لنا من ذلك سؤالاته للإمام ابن عبد البر التي أجاب عنها في رسالته: "الأجوبة المستوعبة عن المسائل المستغربة من صحيح البخاري" وهي مطبوعة، وجاء في طرتها: "كتب بها إلى الفقيه أبي القاسم المهلب بن أبي صفرة رحمة الله عليهم أجمعين أمين"<sup>20</sup>  
 - إملأته العلمية: أملى أثناء قراءة الصحيح عليه شروحاً وتعليقات على الصحيح، إذ قرئ عليه تفقهاً كما مرّ في كلام أبي الأصبغ، وأشار إلى ذلك في مقدمة مختصره النصيح؛ بقوله: "ولقد هممت -أيذك الله- أن أذكر في آخر كل حديث من كتابي هذا ما أدركت من معانيه، لكنني أظن أن فيما أملت عندما قرئ عليّ هذا الكتاب الصحيح وكتب عني، بلاغاً وفتح باب لمن بحث عن ذلك إن شاء الله."<sup>21</sup>

10 - عياض بن موسى اليحصبي القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (35/8).

11 - خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم (268/2).

12 - عياض بن موسى اليحصبي القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (35/8).

13 - محمد بن عبد الله لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة (231/3).

14 - محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، العبر في خبر من غير (272/2).

15 - عياض بن موسى اليحصبي القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (36/8).

16 - خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم (268/2).

17 - المهلب بن أبي صفرة الأندلسي: المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح (158/1).

18 - المصدر نفسه (84/4).

19 - نقل عن أخيه أبي عبد الله في مواضع من المختصر النصيح (2/192، 131، 135، 130، 448، 472، 92/3)، ونقله عنه في موضعه فيما ينقله ابن بطال عنه في شرح البخاري (567/6).

20 - يوسف بن عبد البر، الأجوبة المستوعبة عن المسائل المستغربة من صحيح البخاري (ص 65).

21 - المهلب بن أبي صفرة الأندلسي: المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح (155/1).

- اختصاره الفريد للصحيح: وضع كتابه "المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح"، وهو عمل مبتكر جمع فيه بين المحافظة على الأسانيد والمتون والتراجم مع تقليل الحجم، وهي خدمة لا يقوم بها إلا من كان مستوعباً للصحيح متمكناً منه.

- شرحه للمختصر: أَلَف شرحاً على مختصره، والأرجح أن الشرح المشهور المنسوب إليه إنما هو شرح على المختصر، لا على صحيح البخاري مباشرة<sup>22</sup>.

- مدرسته العلمية في التفقه بالبخاري: كان تأثير المهلب بالغاً في تلاميذه، إذ ساروا على نهجه في خدمة صحيح البخاري، ثم امتد ذلك إلى أجيال لاحقة في المغرب والأندلس، حتى صار صحيح البخاري محور النشاط العلمي الحديث. ومن أبرز من وصلنا ذكر خدمتهم للصحيح، ممن يُعدّ امتداداً لمدرسة المهلب:

- تلميذه: علي بن خلف بن بطّال الأندلسي (ت 449هـ)<sup>23</sup>: صاحب الشرح المشهور المطبوع، الذي أكثر فيه من النقل عن شيخه المهلب حتى يمكن القول إن شرح المهلب مُضَمَّن فيه، وكأن شرحه حاشية على كلام أستاذه.
- تلميذه: القاضي محمد بن خلف ابن المرابط المَرِّي الأندلسي (ت 485هـ)<sup>24</sup>: الذي صنف شرحاً على صحيح البخاري ولم يصلنا، ذكر السخاوي أنه اختصار لشرح شيخه المهلب مع زيادات وفوائد<sup>25</sup>.
- تلميذه أبو بكر عيسى بن محمد بن عيسى المعروف بابن صاحب الأحباس (ت 470هـ)<sup>26</sup>: تأثر بمدرسة المهلب البخارية فكان مختصاً بشرح البخاري، ورد في ترجمته أنه تُفقه عنده بالبخاري.

ومما يظن أن هذا النشاط العلمي الذي أسسه المهلب حول البخاري كان له الأثر الكبير في توالي ظهور الشروح على البخاري جيلاً بعد جيل، من مثل<sup>27</sup>: شرح الهوزني الإشبيلي<sup>28</sup> (ت 460هـ)، وشرح ابن قردبال الطليطلي<sup>29</sup> (ت 479هـ)،

<sup>22</sup> - فهو الذي وعد به في مقدمة المختصر النصيح فقال: "ولعل الله يمهّل في الأجل لهذا الأمل ويعين على شرح هذا المختصر النصيح بأوجز ما يتيسر، فيكون يعون الله شرحه على قدر كتاب البخاري وأوقده، وتكون الفائدة في شرحه أجدى على الناس من ما اختصرت من تكرير نصه " المصدر السابق (155/1).

<sup>23</sup> - العلامة أبو الحسن القرطبي، ويُعرف بابن اللّجّام، روى عن: أبي المطرّف القنّازي، ويونس بن عبد الله القاضي، وأبي محمد بن بنوش، وتتلّمذ بالمهلب بن أبي صفرة، قال ابن بشكوال: "كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط. عني بالحديث العناية التامة، وأتقن ما قيد منه. وشرح صحيح البخاري في عدة أسفار. رواه الناس عنه، واستقصى بلورة، وحَدَّث عنه جماعة من العلماء"، وقال القاضي عياض: "وكان نبيلاً جليلاً متصرفاً: عياض بن موسى اليحصبي القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (160/8)، خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (29-30)، محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء (47/18).

<sup>24</sup> - الإمام، مفتي مدينة المرية وقاضيا، سمع من: المهلب، وابن ميقّل، وأخذ عنه: ابن عيسى التميمي، وابن سكرة، وابن أبي جعفر السبتي، وآخرون. قال ابن بشكوال: "كان من أهل العلم والرواية والفهم والتفنن في العلوم"، وقال الذهبي: "روى عن المهلب بن أبي صفرة وجماعة، وصنّف شرحاً للبخاري، وكان رأساً في مذهب مالك، ارتحل الناس إليه" خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (189-190)، محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء (66-67/19).

<sup>25</sup> - محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (710-711).

<sup>26</sup> - فقيه أهل المرية، ومقدمهم في العلم والرواية والفتيا والأدب، أخذ عن المهلب ابن أبي صفرة، وابن ميقّل وقاسم بن المأموني. وعنه جماعة من الشيوخ، قال ابن بشكوال: "كان من جلة العلماء، وكبار المحدثين والأدباء من أهل الذكاء والفهم. روى الناس عنه كثيراً" وقال الذهبي: "وكان من جلة العلماء وكبار الأئمة الأذكياء." خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (55/2)، عياض بن موسى اليحصبي القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (153/8)، محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام (486-487/29).

<sup>27</sup> - انظر دراسة: محمد بن زين الدين رستم، المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصحيح من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج 15، ع 27، 1424هـ. وكذلك: محمد عبد الله أحمد المولى، الجهود المتعلقة بصحيح البخاري في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل، ج 8، ع 15، 1435-2014.

<sup>28</sup> - عمر بن الحسن بن عمر أبو حفص، كبير فقهاء إشبيلية المتفنن في العلوم والأدب والشعر، روى عن أبي بكر العواد، وابن الأحذب، وأبي عبد الله الباجي، وغيرهم، ورحل إلى الشرق. قال ابن باشكوال: "ذكره ابن خزرج وقال: كان متفنناً في العلوم، قد أخذ من كل فن منها بحظ وافر مع ثقب فهمه، وصحة ضبطه"، ذكر السخاوي أن له شرحاً على البخاري، قتله ابن عتّاد ظلماً. خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (14-15)، عياض بن موسى اليحصبي القاضي، ترتيب المدارك (156/8). محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الجواهر والدرر (711/2).

<sup>29</sup> - محمد بن علي بن إبراهيم الأموي؛ أبو عبد الله، سمع من أهل بلده وكان يناظر عليه في الفقه، سمع من جماعة من رجال بلده، وكان له تأليف في شرح كتاب البخاري. محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام (486-487/29).

وشرح ابن الوردة المَرِي<sup>30</sup> (ت 540هـ)، وغيرهم، مما يدل على رسوخ مدرسة المهلب البخارية وأثرها العميق في بلاد المغرب والأندلس، هذا فضلاً عن حضور النقول عن المهلب في كل أو جل الشروح بعده في المشرق والمغرب.

## 2. التعريف بكتاب «المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح»

يُعَدُّ كتاب «المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح» للقاضي المهلب بن أبي صفرة (ت 435هـ) من أوائل الأعمال الأندلسية التي وُجِّهَتْ لخدمة صحيح الإمام البخاري بطريقة تتجاوز الاختصار التقليدي، إذ جمع بين المحافظة على الأسانيد والمتون والتراجم، وبين تقليل الحجم وتنظيم المادة الحديثية.

وقد تواترت نسبته إلى المهلب في المصادر الأندلسية، وأثبتها المحقق أحمد بن فارس السلوم في مقدمته للكتاب على أساس الشواهد الداخلية والخارجية.

### 1.2 سبب تأليفه

بيّن المهلب في مقدمته الدافع إلى تأليف كتابه، وهو استجابة لرغبة طلاب العلم في تقريب صحيح البخاري وتيسير حفظه مع المحافظة على فوائده وأصوله، فقال: «فلذلك رغب إليّ منكم راغبون كثير في اختصار تكراره، وتحرير آثاره، حرصاً على قرب أمره، وتأتي حفظه».<sup>31</sup>

فهو إذن عملٌ تعليميٌ مقصود، يروم التيسير دون الإخلال، ويُظهر وعياً مبكراً بإشكالية الطول والتكرار في الصحيح.

### 2.2 الروايات التي اعتمدها

اعتمد المهلب في اختصاره على رواية شيخه أبي محمد الأصيلي عن أبي زيد المروزي، وهي الرواية التي كانت أساساً لمدرسة الأندلس في تلقّي الصحيح، كما قابلها برواية القابسي التي تعود إلى الأصل نفسه، فكلاهما يرويان عن أبي زيد المروزي.

ولا يقتصر عمل المهلب على النقل، بل يظهر من صنيعه إدراكٌ نقديٌّ لطرائق الرواة، حيث يعلّق أحياناً على الألفاظ المختلفة أو يختار الأصح منها.

### 3.2 منهجه العام في الاختصار

لم يكن اختصار المهلب حذفاً أو تجريدًا من الأسانيد كما هو شأن المختصرات المتأخرة، بل كان تهذيباً علمياً للنص، يجمع بين الاقتصاد اللفظي والحفاظ على البنية الحديثية. ويمكن تلخيص أبرز معالم منهجه في النقاط الآتية:

- اختيار الباب الأنسب لإيراد الحديث مع المحافظة على الترجمة الأصلية لذلك الباب.
- جمع طرق الحديث المتكررة في موضع واحد واستيفاء زياداتها، لتتضح وحدة الرواية وتتكامل ألفاظها.
- الإبقاء على الأسانيد، مع بيان مداراتها واختلاف الرواة في الألفاظ.
- الإشارة إلى المواضع الأخرى التي أورد فيها البخاري الحديث نفسه، مما يحفظ فقه التراجم ويبرز منهج البخاري، على نحو يجمع بين التوثيق والفهرسة العلمية.
- تقييد المهمل وتصحيح الأسماء، وبيان الصحيح والمصحف.

فهذا العمل لا يمكن عده اختصاراً فحسب، بل هو إعادة بناء للنص البخاري على نحو مُحْكَم متكامل، أقرب إلى ما يُصطلح عليه في هذا البحث بـ«الضغط الحديثي»، حيث تتكثف المادة الحديثية في صياغة واحدة دون تفكيك أو حذف جوهري.

<sup>30</sup> - الفقيه الحافظ المحدث الأحمّد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي أبو القاسم، أخذ عن ابن العسال وابن سابق الصقلي وأبي علي الغساني، وتلمذ للقاضي أبي عبد الله بن المرباط وأجازه عن شيوخه ومنهم المهلب بن أبي صفرة، وذكر ابن الأبار أن له تعليقاً على صحيح البخاري ومسائل وأجوبة مدونة عنه، وقال الضبي: «ألف في شرح البخاري كتاباً كبيراً ظهر علمه فيه، وكان أوجده زمانه فقهياً وعلماً ومعرفاً وفهماً، وذكاء» وشرحه على البخاري كبير جداً قال الذهبي: «رأيت له المجلد الثاني من «شرح البخاري» يقتضي أن يكون من حساب مائتي مجلّد». خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (131/1-132). محمد بن عبد الله القاضي: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي (23-26)، أحمد بن يحيى، أبو جعفر الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (167)، محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي: تاريخ الإسلام (36/532).

<sup>31</sup> - المهلب بن أبي صفرة الأندلسي: المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح (147/1).

## 4.2 قيمة الكتاب وأثره

يُعدّ المختصر النصيح من المصادر الأندلسية المؤسّسة في دراسة صحيح البخاري، و حلقة وصل بين الرواية والشرح، ويمهد لفهم أكثر عمقاً لصنيع البخاري في التكرار والتراجم. ويمكن عدّه أساساً لكثير من الشروح اللاحقة، وعلى رأسها شرح ابن بطال (ت 449هـ) الذي نقل فيه عن شيخه كثيراً. وبذلك غدا جسراً منهجياً نقل خدمة الصحيح من طور التلقّي إلى طور البناء والتحليل.

وسيتّضح في المبحث التطبيقي الآتي كيف طبّق المهلب هذه المبادئ عملياً في المختصر النصيح، من خلال صنيعه في جمع الروايات، وضبط الأسانيد، وتحرير التراجم، وهو ما يُجسّد بوضوح مفهوم «الضغط الحديثي» الذي يسعى هذا البحث إلى تأصيله وإبراز معالمه المنهجية.

## ثالثاً: التجليات التطبيقية لمفهوم «الضغط الحديثي» في كتاب المختصر النصيح للقاضي المهلب بن

## أبي صفرة:

يهدف هذا المبحث إلى الكشف العملي عن ملامح المنهج الذي عبّرنا عنه بمصطلح «الضغط الحديثي»، وذلك من خلال تحليل نموذجين تطبيقيين من المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، ومقارنة صنيع المهلب بصنيع الإمام البخاري في الصحيح، للكشف عن طبيعة المعالجة الحديثية التي مارسها المهلب وأثرها في بنية النص.

## 1. جمع الروايات وتكامل النص الحديثي

يُعدّ «التكرار» في الجامع الصحيح للإمام البخاري ظاهرة مقصودة ذات وظيفة تعليمية ومنهجية؛ إذ كان البخاري يوزّع الحديث الواحد في مواضع متعدّدة بحسب المقصد الفقهي أو الموضوعي الذي يقتضيه الباب، فيورده تأملاً أو مختصراً أو مقطّعاً، بإسنادٍ كاملٍ أو مختصرٍ، وربما اكتفى بالإشارة إلى بعض طرقه أو رواياته<sup>32</sup>. وبهذا التوزيع تفرّقت مادة الحديث في الصحيح، وأصبحت بحاجة إلى جهدٍ جامعٍ يردّها إلى وحدتها الأولى، دون أن يُخلّ بمنهج البخاري في ترتيب الأبواب أو بسلامة السند والمتن، أو بمقصده في ذلك التكرار.

وقد تصدّى القاضي المهلب بن أبي صفرة لهذا العمل في المختصر النصيح تصدياً واعياً، فكان يجمع الروايات المتفرّقة للحديث الواحد من مواضع متعدّدة في الصحيح، ويعيد بناءها في نصٍّ واحدٍ متكامل، محتفظاً بجوهر الإسناد ومضمون المتن، مع حذف المكرّر وتلخيص ما لا يؤثر في المعنى أو في دلالة الباب. وهذه العملية هي في حقيقتها ممارسة مبكّرة لما يمكن الاصطلاح عليه بـ «الضغط الحديثي»؛ أي الجمع بين الروايات المتناثرة في سياقٍ واحدٍ موجزٍ يحافظ على الدلالة الأصلية ويقلّل الحجم دون الإخلال العلمي.

ومثال ذلك الحديث المشهور في فضل الصوم: «كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي»، إذ نجد رواياته في الجامع الصحيح متوزّعة في مواضع متعدّدة وبألفاظٍ وزياداتٍ مختلفة في الأبواب الآتية:

- كتاب الصوم - باب فضل الصوم (حديث رقم 1894).
- كتاب الصوم - باب هل يقول إني صائم إذا شتم (حديث رقم 1904).
- كتاب اللباس - باب ما يُذكر في المسك (حديث رقم 5927).
- كتاب التوحيد - باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: 15] (حديث رقم 7492).
- كتاب التوحيد - باب ما ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه (حديث رقم 7538).

أما في المختصر النصيح فقد هدّب المهلب المادة الحديثية ورتّب أسانيدھا وألحق بعضها ببعض، فجاء نصّه متسلسلاً متّسقاً في باب واحد على النحو الآتي:

<sup>32</sup> - راجع هدي الساري مقدمة فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (26) في بيان مقاصد تكرار البخاري للحديث في الصحيح.

## «بَاب فَضْلِ الصَّوْمِ

قال البخاري: حدثنا القعني، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. (ح): حدثنا آدم: حدثنا شعبة: حدثنا محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربكم جل ثناؤه قال: «لكل عمل كفارة، فالصوم لي».

قال البخاري: وحدثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج: أخبرني عطاء عن أبي صالح الزيات: أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به». زاد مالك: «والحسنة بعشر أمثالها، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي».

قال عطاء: «وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده».

قال شعبة: «ولخولف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك». وخرجه في باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، وفي باب «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» [الفتح: 15]، وفي باب ما يذكر في المسك، وباب هل يقول: إني صائم إذا شتم<sup>33</sup>.

يتضح من هذا المثال أن القاضي المهلب لم يكتفِ بجمع الروايات فحسب، بل مارس عملاً منهجياً متكاملًا يقوم على إعادة بناء النص الحديثي في صورة جديدة تراعي الأصالة وتحقق التيسير في آنٍ واحد. ويتجلى هذا المنهج في عددٍ من المظاهر الأساسية التي تمثل جوهر ما نسميه بـ«الضغط الحديثي»، وهي كالاتي:

## 1.1 الجمع بين الروايات المتفرقة في سياقٍ واحدٍ متصل

عمد المهلب إلى جمع طرق الحديث وألفاظه المتناثرة في أبواب متعددة من الجامع الصحيح، وردّها إلى نصٍّ واحدٍ جامعٍ يُبرز المعنى الكلي للحديث دون أن يُلغِي خصوصية كل رواية أو زيادتها. وبذلك حقق نوعاً من الوحدة الموضوعية للنص مع الإبقاء على التنوع اللفظي الذي يميّز روايات البخاري.

فلو أراد المهلب مجرد الجمع، لاكتفى بضمّ ألفاظ المتن، لكنه تجاوز ذلك إلى بناء نصٍّ تركيبِيٍّ محكمٍ، ويشير إلى اختلاف الرواة في الألفاظ والزيادات، فكان نصّه أقرب إلى خلاصة تركيبية للنصوص المتفرقة لا إلى مجرد تلخيص لفظي. وهذه الطريقة تجسّد بوضوح مبدأ «الضغط الحديثي»: إذ تُعيد تشكيل الحديث الواحد في صورة جامعة مختصرة

تحفظ معانيه ودلالاته السندية والفقهية في آنٍ واحد.

## 2.1 الحفاظ على الأسانيد مع توضيح فروق الأداء

خلافًا للمختصرين الذين يحذفون الأسانيد طلباً للاختصار، أبقى المهلب على جميع أسانيد الحديث كما وردت في الصحيح، مع ذكر صيغ الأداء المختلفة بين الرواة، مثل «حدثنا»، «أخبرنا». كما نبّه على الفروق الدقيقة بين ألفاظهم، مما يدل على وعيه العميق بالبنية السندية للنص وحرصه على صيانتها.

## 3.1 الترتيب الدلالي للمتون وضبط تسلسلها

رتّب المهلب متون الروايات ترتيباً دقيقاً متدرجاً يظهر فيه التلاؤم بين الألفاظ والمعاني، بحيث تتقدّم الرواية الأوضح معنى أو الأشمل مضموناً، ثم تتلوها ما تُكملها أو تُفسّرها. وهذا الترتيب ليس شكلياً، بل هو بناء معرفي يبرز البنية الكلية للحديث ويقرّبه إلى المتلقي.

## 4.1 الإشارة إلى المواضع الأصلية في الصحيح

ختم المهلب نصّه بإحالة دقيقة إلى جميع الأبواب التي ورد فيها الحديث في الصحيح، فقال: «وخرّجه في باب...». وبهذه الإشارة حافظ على الصلة المنهجية بين عمله والأصل، مؤكّداً أن مقصوده هو التهذيب والضغط لا الاستبدال أو الإلغاء.

<sup>33</sup> - المهلب بن أبي صفرة الأندلسي: المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح (54/2-55).

وهذه الخطوات الأربع تتجلى بوضوح أبرز سمات «الضغط الحديثي» في منهج المهلب؛ فهو يجمع دون أن يُخل، ويختصر دون أن يُفقد المعنى، ويعيد بناء النصّ دون أن يقطع صلته بالأصل. وبهذا أسّس لنمطٍ فريدٍ من التعامل مع النصوص الحديثية يجمع بين الدقة العلمية والوظيفة التعليمية في آنٍ واحد.

## 2. المحافظة على الأسانيد والتراجم دون إخلال

من أبرز ما يميّز منهج القاضي المهلب بن أبي صفرة في المختصر النصيح أنه لم يتعامل مع النص الحديثي تعامل المختصرين التقليديين الذين يهدفون إلى تقليل الحجم بحذف الأسانيد والاكتفاء بالمتون، بل كان حريصاً على إبقاء البنية العلمية للحديث قائمة من حيث الإسناد والتراجم وصيغ الأداء، محافظاً بذلك على الهوية المنهجية لصحيح البخاري. فاختصاره لا يعني إسقاط البنية الإسنادية، بل إعادة تنظيمها في صورة أوضح وأقرب للفهم، وأيسر للحفظ، دون إخلال بالأصل ولا تفكيك لبنيته. وهذه السمة تمثل وجهاً آخر من وجوه ما نصطلح عليه بـ«الضغط الحديثي»، وهو ضغطٌ يحافظ على الأصالة الحديثية ويؤدّي وظيفة تعليمية وتربوية في آنٍ واحد.

ويتجلى ذلك في هذا المثال، وهو حديث تزويج المعسر، وهو من الأحاديث الطويلة التي تفرقت رواياتها في الجامع الصحيح، وتنوّعت ألفاظها بتعدد الرواة والمقاصد الفقهية.

وقد وردت القصة في الصحيح من طريقين رئيسين:

حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: وهو الأصل الأشهر في القصة، وقد أخرجه البخاري في ثلاثة عشر موضعاً، منها:

- كتاب الوكالة - باب وكالة المرأة الإمام في النكاح (حديث رقم 2310)

- كتاب فضائل القرآن - باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (5029)

- كتاب فضائل القرآن - باب القراءة عن ظهر القلب (5030)

- كتاب النكاح - باب تزويج المعسر (5087)

- كتاب النكاح - باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح (5121)

- كتاب النكاح - باب النظر إلى المرأة قبل التزويج (5126)

- كتاب النكاح - باب إذا كان الولي هو الخاطب (5132)

- كتاب النكاح - باب السلطان وليّ من لا وليّ له (5135)

- كتاب النكاح - باب إذا قال الخاطب للولي: زوّجني فلانة (5141)

- كتاب النكاح - باب التزويج على القرآن وبغير صداق (5149)

- كتاب النكاح - باب المهر بالعروض وخاتم من حديد (5150)

- كتاب اللباس - باب خاتم الحديد (5871)

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: وقد روى الحادثة باختصار، وقد أخرجه البخاري في موضعين:

- كتاب النكاح - باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح (حديث رقم 5120)

- كتاب الأدب - باب ما لا يُستحيا منه من الحق للتعفّف في الدين (حديث رقم 6123)

ويظهر من هذا التوزيع أن الإمام البخاري جعل من القصة الواحدة مادةً تعليمية متعددة الوظائف، فاستثمرها في تقرير أحكام تتصل بالنظر إلى المخطوبة، وجواز عرض المرأة نفسها، والصداق، والقراءة في النكاح، والوكالة، وغيرها من المعاني الفقهية، فجاء الحديث الواحد في صور متعددة، تُثري المعنى الكلي للواقعة دون أن تُلغيه أو تكرر بلا فائدة. لكن هذه المادة الحديثية متشعبة متفرقة تحتاج إلى جهدٍ يجمعها في صورة واحدة متكاملة دون إخلال بالسياق أو إسقاط للإسناد. وهنا يتجلى جهد المهلب في المختصر النصيح.

صنيع المهلب في المختصر النصيح : جمع القاضي المهلب روايات الحديثين جميعاً - حديث أنس وحديث سهل - في باب واحد بعنوان باب تزويج المعسر، وضمّ الأسانيد والمتون على نسقٍ متدرّجٍ يظهر فيه وعيه بالصلة بين الرويتين ووحدّة القصة التي تدور عليهما. فجاء نصه كما يلي:

"باب تزويج المعسر لقوله عز وجل: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: 32]

قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا مرحوم، قال: سمعت ثابتاً البناي قال: كنت عند أنس وعنده ابنة له، فقال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها فقالت: يا رسول الله، ألك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أقلّ حياءها! واسوأها! ففعل أنس: هي خيرٌ منك، رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها.

(ح) قال البخاري: حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد، وحدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، وحدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضيل بن سليمان، وحدثنا عبد الله بن يوسف، عن مالك، وحدثنا عبد الله بن مسلمة، عن عبد العزيز بن أبي حازم، وحدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، كلهم عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي قال: كنت في القوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله، إنها قد وهبت نفسها لك، فَرَفِها رأيك، فلم يُجِبها شيئاً، ثم قامت الثانية فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فَرَفِها رأيك، فلم يُجِبها شيئاً، ثم قامت الثالثة، فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فَرَفِها رأيك.

قال يعقوب: فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه. زاد ابن فضيل: فلم يُردّها.

قال مالك: فقامت طويلاً.

قال يعقوب: فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست.

وقال حماد: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لي اليوم في النساء من حاجة».

فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله، إن لم تكن لك بها حاجة فزوّجنيها.

فقال: «هل عندك من شيء؟»

زاد مالك: «تُصَدِّقُها».

قال: ما عندي إلا إزاري.

قال مالك: فقال: «إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، فالتمس شيئاً».

وقال حماد: فقال: «أذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً».

فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً.

قال: «انظروا لولا خاتماً من حديد».

فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله، ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري.

قال سهل: ما له رداء، فلها نصفه.

وقال فضيل: ولكن أشق بردتي هذه فأعطيتها النصف.

قال يعقوب: فقال: «ما تصنع بإزارك؟ إن لبستته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبستته لم يكن عليك شيء».

فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام مولياً، فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به فدُعي، فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن؟»

وقال مالك فيه: «أمعك من القرآن شيء؟»، قال: معي سورة كذا وسورة كذا، عدّها.

قال: «أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟»، قال: نعم.

قال: «أذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن».

وقال فضيل: «قد زوّجتكها».

وقال مالك: «زوّجناكها».

وقال سفيان: «قد أنكحتكها».

وخرّجه في: باب وكالة المرأة الإمام في النكاح، وباب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، وباب النظر إلى المرأة قبل التزويج، وباب التزويج على القرآن وبغير صداق، وباب المهر بالعروض وخاتم الحديد، وباب خيركم من تعلّم القرآن وعلمه، وباب القراءة عن ظهر القلب، وباب ما لا يُستحيا من الحق للنفقة في الدين".<sup>34</sup> انتهى كلام المهلب يتبيّن من هذا المثال أن المهلب مارس في هذا الباب ضرباً رقيقاً من الضغط الحديثي الواعي، يتجاوز الجمع اللفظي إلى البناء المنهجي المحكم، ويتجلى ذلك في عدّة مظاهر:

## 1.2 الجمع بين الروايات المتكاملة دون دمجٍ مغلٍ:

ضمّ المهلب رواية أنس إلى رواية سهل بوصفهما وجهين لقصة واحدة، فجمع بينهما في سردٍ واحدٍ متسلسل، مع الحفاظ على أسانيد كلٍّ منهما كما وردت في الصحيح. وهذا الجمع ألغى الحاجة إلى تتبع القصة في أبواب متفرقة، وفي الوقت نفسه حافظ على التوثيق الحديثي، إذ أبقى كل طريقٍ مستقلاً عن الآخر.

## 2.2 الإبقاء على صيغ الأداء والإسناد:

لم يكتفِ المهلب بذكر راوٍ واحد كما يصنع المختصرون، بل حافظ على تعدّد الشيوخ وصيغ الأداء: «حدثنا»، «قال»، «سمعت»، «حدثني»، مما يدلّ على أن مقصوده ليس تقليل الحجم فقط، بل إبراز تعدد طرق الرواية وتوثيقها في أقلّ قدر من الأسطر، وهو من أنقى صور «الضغط الحديثي» العلمي.

## 3.2 ترتيب الأسانيد والمتون وفق منطق السرد والمعنى:

قدّم رواية أنس لأنها تمهّد سياق القصة، ثم أورد رواية سهل لتكمّلها، وهو ترتيب دلالي تربوي يعكس وعياً بترباط الحدث ومقاصده، ويجعل النص النهائي متماسكاً دون إخلالٍ بمنهج البخاري في التوزيع.

## 4.2 الإشارة إلى تراجم البخاري الأصلية:

ختم المهلب الحديث بإحالة دقيقة إلى مواضعه الأصلية في الصحيح، فقال: «وخرجه في باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح...»، وهذه الإحالة المنهجية تربط مختصره بالأصل وتؤكد أن عمله ليس استقلالاً عن الصحيح، بل خدمة واعية له تهدف إلى تقريب بنيته للقارئ.

## 5.2 معالجة التكرار الداخلي في الروايات:

اختصر المهلب الألفاظ المكررة واكتفى بالقدر الذي تتحقق به الفائدة، دون أن يحذف زيادات الروايات ذات الدلالة. فحقق بذلك توازناً دقيقاً بين التخفيف والإبقاء، وهو جوهر "الضغط الحديثي" في بعده النصي.

يتبيّن من هذا المثال أن القاضي المهلب لم يكن مقلّلاً للنص، بل كان حافظاً لبنيته، جامعاً بين الروايات على نحوٍ يبرز وحدة القصة وتكاملها دون الإخلال بأصول الرواية الحديثية. وبذلك جسّد في المختصر النصّ مرحلة متقدمة في الوعي البنيوي بالنص الحديثي، إذ قدّم نموذجاً لـ«الاختصار البناء» الذي يحافظ على الإسناد والتراجم والمواضع، ويُعيد عرض الصحيح في صورةٍ مضغوطةٍ تجمع بين الأصالة العلمية والوظيفة التعليمية.

ويتّضح من المثالين السابقين أن القاضي المهلب بن أبي صفرة لم يتعامل مع صحيح الإمام البخاري تعاملًا تجزيئياً أو انتقائياً، بل نظر إليه نظراً بنيوياً كلياً، فمارس عليه معالجةً واعيةً أعادت بناء نصوصه دون أن تخرجه عن أصله. فبينما أظهر المثال الأول (حديث الصوم) البعد التركيبي في الجمع بين الروايات وتكاملها، أبرز المثال الثاني (حديث تزويج المعسر) البعد البنائي في الحفاظ على الأسانيد والتراجم وتوجيهها ضمن سردٍ واحدٍ متماسك.

<sup>34</sup> - المهلب بن أبي صفرة الأندلسي: المختصر النصّ في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح (387-386/2).

وهذان الوجهان معاً — التركيب والبناء — يشكّلان المكوّنين الأساسيين لما نسمّيه الضغط الحديثي في منهج المهلب؛ أي الجمع بين التخفيف والحفاظ، والاختصار دون الإخلال، والدمج دون التفكيك. ومن هنا تتبيّن الحاجة إلى استخلاص البنية المنهجية الكامنة وراء هذا الصنيع التطبيقي، وبيان الأسس التي تحكم ممارسة المهلب في المختصر النصيح، من حيث أدواته، ومركزاته، وأهدافه العلمية والتربوية.

### 3. البنية المنهجية للضغط الحديثي عند القاضي المهلب بن أبي صفرة

من خلال التحليل التطبيقي للنموذجين السابقين، يتبيّن أن القاضي المهلب لم يكن يقصد بالاختصار مجرد تقليل النصّ الحديثي حجمًا، بل إعادة تنظيم مادّته وفق رؤية علمية متكاملة، تجمع بين الحفاظ على أصالة الصحيح وتيسير الاستفادة منه. وهذه الرؤية تستند إلى جملة من المرتكزات المنهجية التي يمكن أن نعبّر عنها بمفهوم «الضغط الحديثي» في صورته الأكمل.

#### 1.3 الوعي بالبنية الداخلية للجامع الصحيح

انطلق المهلب من فهمٍ دقيقٍ لبنية الجامع الصحيح؛ إذ أدرك أن تكرار الأحاديث في مواضع متعددة ليس عيبًا شكليًا، بل هو بناء مقصود له وظائف تربوية واستدلالية. ولذلك لم يتعامل مع التكرار بالنقض أو الحذف، بل أعاد تشكيله بطريقة تُظهر وحدة الحديث وتنوّع دلالاته. ف«الضغط الحديثي» عنده لم يكن عملية اختصارٍ آلية، بل قراءة تركيبية لبنية البخاري وإعادة إنتاجها بصورة أكثر إحكامًا وترابطًا.

#### 2.3 التوازن بين الحفظ والتيسير

يُعدّ هذا العنصر جوهر منهج المهلب؛ إذ حافظ على الأسانيد والمتون والتراجم، لكنه صاغها في صورة أكثر قرينة من التداول والتعليم. فالاختصار عنده لا يعني إسقاط الأسانيد كما يفعل المختصرون، بل الحفاظ على عناصرها مع حذف المكرّر وبيان المدارات. وهكذا جمع بين أمانة النقل وسهولة التعلم، فجاء مختصره وسيطاً بين الأصل وشرحه.

#### 3.3 الدمج البناء بدل الاختصار الحذف

تميّز عمل المهلب بكونه «دمجًا بناءً» لا «اختصارًا حذفيًا»؛ أي أنه لا يكتفي بحذف الأجزاء المتكررة، بل يعيد تركيب النصوص لتنتج نصًّا متكاملًا جديدًا يحتفظ بروح الصحيح. فحين جمع روايات الحديث الواحد، لم يسعَ إلى الاختصار على لفظٍ واحدٍ منها، بل ضمّ الألفاظ المختلفة وفق ترتيب منطقي يبرز المقصد العام، فكانت النتيجة نصًّا مضغوطاً من حيث الحجم، متوسعاً من حيث الدلالة.

#### 4.3 مراعاة السياق التربوي والتعليمي

يظهر من أسلوب المهلب أنه كان يوجّه عمله ليكون أداة لتعليم الحديث، لا مجرد مختصر للقراءة. فإعادة بناء النصوص وتوضيح الفروق في الأداء وصيغ الرواية، وربط الأحاديث بأبوابها الأصلية، كلها عناصر تخدم الغاية التعليمية في تقريب الصحيح للطلاب والدارسين. فالضغط الحديثي هنا وسيلة تعليمية قبل أن يكون معالجة نصية.

#### 5.3 إعادة بناء العلاقة بين الرواية والدراية

من خصائص هذا المنهج أنه لا يفصل بين الرواية (نقل النص) والدراية (فهمه وتفسيره)، بل يوظّف الأولى لخدمة الثانية. فحين يضغط المهلب الروايات المتعددة في نصٍّ واحد، فهو يوفر للدارس رؤيةً شاملةً لمختلف روايات الحديث، تمهّد لفهمه واستنباط فقهه. ومن هنا يمكن القول إن «الضغط الحديثي» يمثل مرحلة وسطى بين الاختصار والشرح؛ إذ يجمع بين دقة الرواية ووضوح الدراية.

#### 6.3 الوظيفة المنهجية للضغط الحديثي

يؤدي هذا المنهج دورًا مزدوجًا: فهو من جهة يحافظ على منهج البخاري في توزيع الأحاديث بحسب المقاصد، ومن جهة أخرى يقدّم قراءة تركيبية جديدة تُمكن من استيعاب الصحيح في بناء متماسك. ف«الضغط» هنا ليس اختزالًا، بل إعادة تشكيل منهجية للنص الحديثي بما ييسر حفظه وتدبره ويختصر طريق الاستفادة منه.

## 7.3 تميّز منهج المهلب عن مناهج الجمع عند الشراح وأهل العلل

ومما يجدر التنبيه إليه أنّ الجمع بين الروايات المتعددة للحديث الواحد قد عرفه المحدثون في مجالات شتى؛ فالشُّراح كالحافظ ابن حجر في فتح الباري يعمدون إلى استحضار طرق الحديث وزياداته من مختلف دواوين السنة، بغرض التوسع في الشرح وبيان الفروق اللفظية وتوجيه المعاني، كما أن أئمة العلل كالإمام الدارقطني في العلل، والألباني في السلسلتين الصحيحة والضعيفة، يجمعون الأسانيد والروايات للمقارنة والنقد والترجيح بين الروايات أو لمعرفة مواضع الخطأ والصواب.

غير أنّ عمل القاضي المهلب في المختصر النصيح يختلف عن هذا الاتجاه؛ إذ لم يكن غايته التحليل ولا النقد، وإنما إعادة بناء الحديث الواحد في نصٍّ واحدٍ متكامل، يُبرز وحدته الدلالية ويختصر تكراره، مع الحفاظ على عناصره الأصلية من إسنادٍ ومتنٍ وترجمة.

فالجمع عنده ليس جمعاً تحليلياً كمنهج الشراح، ولا جمعاً نقدياً كمنهج المعلّين، بل جمع بنيويّ يعيد صياغة الحديث في صورته التعليمية الأمثل، وهو ما يميز منهج "الضغط الحديثي" ويفصله عن غيره من صور العناية بالحديث. ومن هنا تتأكد خصوصية عمل المهلب، وتميّزه عن غيره من أنماط الجمع الحديثي، مما يمنح مفهوم الضغط الحديثي مشروعيةً علميةً قائمةً على واقعٍ تطبيقيٍّ فريدٍ في التراث الأندلسي.

ويتّضح إذن أن القاضي المهلب بن أبي صفرة وضع أساساً مبكراً لمنهجٍ علميٍّ فريدٍ في التعامل مع نصوص الحديث، يقوم على الجمع بين الاقتصاد في العبارة والثراء في الدلالة، وعلى الاحتفاظ بالبنية العلمية للنص مع تيسير التناول والفهم.

وهذا ما يجعل «الضغط الحديثي» — كما تجلّى في المختصر النصيح — ليس مجرد تجربة فردية، بل اتجاهًا منهجيًا قابلاً للتعميم في دراسة النصوص الحديثية الكبرى، يجمع بين حفظ التراث الحديثي وتجديد طرائق عرضه وتعليمه.

وبذلك تجلّى مفهوم «الضغط الحديثي» في صورته العملية، باعتباره منهجاً لإعادة تنظيم المادة الحديثية، يهدف إلى التيسير دون الإخلال، وإلى التركيب دون الحذف، فيجمع بين مقاصد الاختصار ووظائف الشرح.

وسيتناول المقال في خاتمته أبرز النتائج التي أسفر عنها هذا التحليل، وما يمكن أن يُبنى عليه من دراسات مستقبلية في منهج «الضغط الحديثي» وتطبيقاته.

## 1. خاتمة:

بعد استقراء الجوانب النظرية والتطبيقية لعمل القاضي المهلب بن أبي صفرة في كتابه المختصر النصيح في تهذيب الجامع الصحيح، تبين أن هذا العمل لا يندرج في دائرة الاختصار التقليدي، ولا في مسار الشروح المطوّلة، بل يمثل مرحلةً وسطى تجمع بين الدقة العلمية والوظيفة التعليمية، وهو ما يصحّ تسميته بمصطلح «الضغط الحديثي».

وقد أظهرت الدراسة أن هذا المصطلح يعبر عن منهجٍ علميٍّ مقصود يقوم على إعادة بناء النص الحديثي من خلال:

- جمع الروايات المتفرقة للحديث الواحد في نصٍّ واحدٍ متكاملٍ متسق.
- المحافظة على الأسانيد والتراجم وصيغ الأداء..
- معالجة التكرار الداخلي للحديث بما يبرز مقاصده العامة ويوحّد دلالاته الموضوعية.
- الربط بين الروايات وأبوابها الأصلية، بما يحفظ الصلة المنهجية بين المختصر والأصل.
- تحقيق التوازن بين الإيجاز البناء والاستيعاب المنهجي، في إطار رؤية تعليمية تهدف إلى تقريب الكتاب الحديثي لطلّاب العلم دون الإخلال بجلاله العلمي.

وقد تجلّت هذه السمات بوضوح في النماذج التطبيقية المدروسة من "المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح" للقاضي المهلب بن أبي صفرة الأندلسي، وهما حديث فضل الصوم وحديث تزويج المعسر، إذ مارس المهلب من

خلالهما نوعاً من "إعادة الهيكلة الحديثة" للمادة النصية، جمعت بين دقة الرواية ووضوح الدلالة، فكان نصّه المختصر صورةً مركزة لصنيع البخاري، لا بديلاً عنه.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إنّ «الضغط الحديثي» يمثل مفهوماً تأسيسياً جديداً في دراسات مناهج المحدثين، يُبرز مساراً موازياً لجهود الرواية والشرح والاختصار، ويكشف عن بعدٍ منهجيٍّ دقيق في تعامل المحدثين المغاربة والأندلسيين مع النصوص الحديثة، ويُعيد الاعتبار لجهودهم في التنظيم والتيسير العلمي.

### أهم النتائج:

يعدّ «الضغط الحديثي» منهجاً مستقلاً له خصائصه وغاياته المميّزة عن الاختصار التقليدي.

- يجمع هذا المنهج بين الحفاظ على الأمانة الحديثة وتحقيق غاية التعليم والتقريب.

- يُظهر عمل المهلب وعياً علمياً عميقاً ببنية الصحيح ومنهجه في التكرار والترجمة.

- يمثل «المختصر النصيح» التطبيق الأول والأظهر لهذا المنهج في التراث الحديثي.

### توصيات الدراسة:

- توجيه البحوث القادمة نحو تتبّع مظاهر «الضغط الحديثي» في مصنفات أخرى، كموسوعات الرواية كمسند الإمام أحمد وكذلك كتب الشروح فهي من مضان هذا المنهج كـ «التمهيد» و«الاستذكار» و«المنتقى» و«فتح الباري».

- إعداد دراسة مقارنة بين منهج المهلب في المختصر النصيح ومنهج ابن بطال في شرحه، للكشف عن العلاقة بين الضغط والشرح، وبيان مدى استفادة التلميذ من عمل شيخه.

وبذلك يكون هذا البحث قد أسّس لبذرة مصطلحٍ جديدٍ قابلٍ للتوسّع في الدرس الحديثي، يُعيد قراءة جهود العلماء بمنهجٍ تحليليٍّ معاصر، يجمع بين فقه الرواية ودقة النظر المنهجي، في إطار من الوفاء للأصل وإحياء للجهود الأصيلة في خدمة السنة النبوية.

### الإحالات والمراجع:

#### قائمة المراجع العربية

- بن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (2005). هدي الساري مقدمة فتح الباري. الرياض: دار طيبة.
- ابن بشكو، خلف بن عبد الملك. (2010). الصلّة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم (ط. 1). تونس: دار الغرب الإسلامي.
- ابن فارس، أحمد بن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة. دمشق: دار الفكر.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (2005). الأجوبة المستوعبة عن المسائل المستغربة (ط. 1). الرياض: دار ابن القيم.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله. (2003). الإحاطة في أخبار غرناطة (ط. 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن بطال، علي بن خلف. (2003). شرح صحيح البخاري (ط. 2). الرياض: مكتبة الرشد.
- ابن يحيى الضبي، أحمد بن يحيى أبو جعفر. (1967). بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ط. 1). القاهرة: دار الكاتب العربي.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (غير مذكور في قائمتك الأصلية لكن ورد في حديثك - يُدرج إن كان مستخدماً فعلاً).
- الخطابي، حمد بن محمد. (1982). غريب الحديث. دمشق: دار الفكر.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (1983). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. الرياض: مكتبة المعارف.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي. (د.ت). العين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- الذهبي، محمد بن أحمد شمس الدين. (1985). العبر في خبر من غير (ط. 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الذهبي، محمد بن أحمد شمس الدين. (1993). تاريخ الإسلام (ط. 1). بيروت: دار الكتاب العربي.

- الذهبي، محمد بن أحمد شمس الدين. (1985). سير أعلام النبلاء (ط. 3). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. (1999). الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (ط. 1). بيروت: دار ابن حزم.
- السلوم، أحمد بن فارس (محقق). (2009 تقريباً). المختصر النصح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، للقاضي المهلب بن أبي صفرة الأندلسي (ط. 1). الرياض: دار أهل السنة.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (2005). الأجوبة المستوعبة عن المسائل المستغربة من صحيح البخاري. الرياض: دار ابن القيم.
- القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي. (1981). ترتيب المدارك وتقريب المسالك (ط. 1). المغرب: مطبعة فضالة.
- محمد بن زين الدين رستم. (2004). "المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصحيح من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري". مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، 15(27).
- محمد عبد الله أحمد المولى. (2014). "الجهود المتعلقة بصحيح البخاري في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي". مجلة كلية العلوم الإسلامية - جامعة الموصل، 8(15).
- محمد عصام عرار الحسني. (1987). إتحاف القارئ بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري (ط. 1). دمشق: اليمامة.

#### References (Transliterated & Translated into English)

- Ahmad bin Faris. (1979). Mu'jam Maqayis al-Lughah. Damascus: Dar al-Fikr.
- Ahmad bin Yahya al-Dhabi. (1967). Bughyat al-Multamis fi Tarikh Rijal Ahl al-Andalus (1st ed.). Cairo: Dar al-Katib al-Arabi.
- Al-Baghdadi, Al-Khatib. (1983). Al-Jami' li-Akhlaq al-Rawi wa Adab al-Sami'. Riyadh: Maktabat al-Ma'arif.
- Al-Battal, Ali bin Khalaf. (2003). Sharh Sahih al-Bukhari (2nd ed.). Riyadh: Maktabat al-Rushd.
- Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmad. (1985). Siyar A'lam al-Nubala (3rd ed.). Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
- Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmad. (1985). Al-Ibar fi Khabar man Ghabar (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmad. (1993). Tarikh al-Islam (1st ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.
- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmad. (n.d.). Kitab al-'Ayn. Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.
- Al-Khattabi, Hamd bin Muhammad. (1982). Gharib al-Hadith. Damascus: Dar al-Fikr.
- Al-Muhallab bin Abi Safrah. (2009). Al-Mukhtasar al-Nasih fi Tahdhib al-Kitab al-Jami' al-Sahih (1st ed.). Riyadh: Dar Ahl al-Sunnah.
- Al-Qudai, Muhammad bin Abd Allah. (2000). Mu'jam Ashab al-Qadi Abi Ali al-Sadafi (1st ed.). Cairo: Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah.
- Al-Sakhawi, Muhammad bin Abd al-Rahman. (1999). Al-Jawahir wa al-Durar fi Tarjamat Shaykh al-Islam Ibn Hajar (1st ed.). Beirut: Dar Ibn Hazm.
- Al-Sallum, Ahmad bin Faris (Ed.). (2009). Introduction to Al-Mukhtasar al-Nasih. Riyadh: Dar Ahl al-Sunnah.
- Al-Yahsubi, Iyyad bin Musa (Qadi). (1981). Tartib al-Madarik wa Taqrib al-Masalik (1st ed.). Morocco: Matba'at Fadalsh.
- Ibn Abd al-Barr, Yusuf. (2005). Al-Ajwibah al-Mustaw'ibah 'an al-Masa'il al-Mustaghrabah min Sahih al-Bukhari (1st ed.). Riyadh: Dar Ibn al-Qayyim.
- Ibn Bashkuwal, Khalaf bin Abd al-Malik. (2010). Al-Silah fi Tarikh A'immah al-Andalus wa 'Ulama'ihim (1st ed.). Tunis: Dar al-Gharb al-Islami.

Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmad bin Ali. (2005). Hady al-Sari: Muqaddimat Fath al-Bari (1st ed.). Riyadh: Dar Taybah.

Ibn Khallikan, Muhammad bin Abd Allah. (2003). Al-Ihatah fi Akhbar Gharnatah (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman. (1985). Muqaddimat Ibn Khaldun. Beirut: Dar al-Fikr.

Ibn al-Khatib, Lisan al-Din Muhammad bin Abd Allah. (2003). Al-Ihatah fi Akhbar Gharnatah (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibn al-Salah, Uthman. (1983). Muqaddimat Ibn al-Salah fi Ulum al-Hadith. Damascus: Dar al-Fikr.

Ibn Faris, Ahmad. (1979). Mu'jam Maqayis al-Lughah. Damascus: Dar al-Fikr.

Ibn Rustom, Muhammad bin Zayn al-Din. (2004). "Al-Madrasah al-Andalusiyyah fi Sharh al-Jami' al-Sahih min al-Qarn al-Khamis ila al-Thamin al-Hijri." Journal of Umm al-Qura University for Sharia and Arabic Studies, 15(27), 2004, pp. 45–72.

Ibn al-Mulla, Muhammad Abd Allah Ahmad. (2014). "Al-Juhud al-Muta'alliqa bi-Sahih al-Bukhari fi al-Qarn al-Khamis al-Hijri." Journal of Islamic Sciences, University of Mosul, 8(15), 2014, pp. 33–57.

Salomon, David. (2007). Data Compression: The Complete Reference (4th ed.). Springer.

Wikipedia. (2025, August 16). Data Compression. Retrieved from [https://en.wikipedia.org/wiki/Data\\_compression](https://en.wikipedia.org/wiki/Data_compression)